تعليم البنات في مصر

أطواره الماضية وحاله الحاضرة

لما أنشأ المغفور له محمد علي باشا مدرسة الطب حاول أن يغري بعض الآباء بارسال بناتهم إليها لكي يكن قابلات فلم يجد من يلبي طلبه لأن نفور الآباء كان شديدا من تعليم بناتهم فاضطر إلى اصدار أمره بشراء عشر جوار سودانيات لكي يدخلن مدرسة الولادة و يصرن قابلات .

و بقيت الأمة على جمودها نحو تعليم البنات إلى أن كان عهد المغفور له اسماعيل باشا حين شاع التوسع الاقتصادى والاجتماعى. فأنشأ مدرسة البنات بالسيوفية (هى الآن المدرسة السنية) سنة ١٨٧٣ فأقبل الآباء على تعليم بناتهم فيها حتى بلغ عدد تلميذاتها أيام اسماعيل ٣٣٤ تلميذة. وكان التعليم فيها مقصورا على المواد التى تدرس فى المدارس الابتدائية ثم أضيفت إليها الأعمال اليدوية . وعلى هذا الغرار أنشئت مدرسة أخرى للبنات فى القربية .

وكثرت المدارس عندئذ وانقشع ذلك الطلسم الذى كان مضروبا على العائلات يمنعهن من تعليم بناتهم حتى كان عدد التلميذات سنة ١٨٧٥ يبلغ ٤٠٨٠ تلميذة . ولكن هذه النهضة لم تلبث بعد سنوات أن صدت إلى الوراء حتى إذا كان ختام القرن التاسع عشر كان الظلام قد عاد يخيم على البلاد . ولم يكن لوزارة المعارف غير مدرسة واحدة ابتدائية للبنات هى المدرسة السنية إلى جنب المدارس الأجنبية للبعثات الدينية التى لم تكن يدخلها غير المسيحيات ولكى نقدر مدى هذا الظلام يجب أن نقرأ ترجمة قاسم أمين . فانه حين ألف كتابيه "تحرير المرأة" و"المرأة الجديدة" يدعو فيها إلى سفور المرأة وتعليمها وجد مقاومة عنيفة من الشعب كأنه كان يدعو إلى التهتك حتى قيل إن جماعة من الشبان والشيب قصدت إليه تطلب رؤية زوجته. وهذا يدل على أن الجيل الجديد الذى عاش بين سنتى ١٨٨٠ و ١٩٠٠ قد نسى تمام النسيان تلك النهضة الرائعة أيام اسماعيل وعاد يؤمن بضرورة الجهل للمرأة المصرية كما كانت الحال أيام محمد على .

ولكن الانبعاث الوطنى عقب سنة ١٩٠٠ كانت ترافقه نهضة أو على الأقل تنبه إلى قيمة تعليم المرأة . فأنشئت المدارس الأهلية وأخذ الاباء يرسلون إليها و إلى مدارس البعثات الأوربية والأمريكية بناتهم . وهذه البعثات كانت ولا تزل فى الأغلب دينية . ولكن الجمهور المصرى مع كراهته للنزعات الدينية الأجنبية اضطر وهو كاره الى تعليم الفتيات فى هذه

المدارس لأنه لم يجد لوزارة المعارف مدارس لتعليم البنات . و يمكن أن نعين التواريخ التالية لتأسيس أقدم مدارس البنات الأجنبية :

سنة

١٨٤٤ مدرسة ميزيريكورد بشارع الراهبات بالاسكندرية .

١٨٤٦ مدرسة البون باستور فى شبرا بالقاهرة .

١٨٥٦ المدرسة الأمريكية للبنات بالأزبكية بالقاهرة .

ثم أخذت البعثات الأجنبية تنشئ المدارس للبنات فى عواصم المديريات . كما أن الأقباط أخذوا أيضا فى إنشاء مدارس أهلية للبنات ولكن فى قلة وضعف بحيث كانت تنشأ المدرسة أحيانا فتبقى سنة أو سنتين ثم تموت لقلة الإقبال عليها وتراكم الديون .

على أن كل هذا التعليم كان ابتدائيا . ولم تنشئ وزارة المعارف مدرسة ثانوية للبنات إلا بعد سنة ١٩٢٤ ، وكان التعليم العالى لهذا السبب مما لا يمكن الفتاة المصرية أن تصل إليه .

ولكن لما أنشئت مجالس المديريات أحيل عليها إنشاء المدارس للبنات . فتوسعت فيه وأقبلت عليه على الرغم مما لقيت من العقبات. فقد كان بعضها ينشئ المدرسة — فى الصعيد مثلا — ثم يقفلها لكراهة الآباء لتعليم بناتهم . ولكن البنات والمثابرة فعلا فعلهما فى النهاية فأصبحت المدارس تنشأ فى المدن والريف و يقبل عليها الآباء ببناتهم لتعليمهن . بل أصبح الآباء من الطبقة العالية لا يستنكفون من إرسال بناتهم إلى أوربا لكى يتزودن بالعلوم التى لا يجدنها فى مدارس مصر .

وقد كانت وزارة المعارف ترسل بعثات صغيرة العدد إلى انجلترا لكى يتعلم فيها خريجو مدرسة المعلمين . و يمكن بالمقابلة بين سنة ١٩١٧ وسنة ١٩٢٩ أن نعرف مدى النهضة فى تعليم البنات . ففى سنة ١٩١٧ كان جميع الاعضاء فى بعثة وزارة المعارف من الذكور وكان عددهم ٢٥ طالبا فقط يتعلمون جميعهم فى انجلترا فقط . ولكن فى سنة ١٩٢٩ بلغ عددهم ٥٠٦ من الطلبة والطالبات نحو نصفهم من وزارة المعارف والنصف الآخر من الوزارات الأخرى . إنما المهم الذى يجب أن نذكره أنه كان بينهم طالبات .

و بعد سنة ١٩٢٤ أخذت وزارة المعارف ومجالس المديريات فى إنشاء المدارس الأولية والابتدائية والثانوية للبنات . كما أن جامعة فؤاد الأول منذ إنشائها لم تميز بين تعليم الذكور والإناث فالتحق بها عشرات ثم مئات من الطالبات اللاتى ينضممن فى الأكثر إلى كلية الآداب وفى الأقل إلى كليتى العلوم والطب والحقوق . وقد بلغ عدد الطالبات فى الجامعة فى السنة الماضية ٤٢٥ طالبة غير مدرسة الممرضات التى كان بها ٣٣٥ طالبة .

وهناك إلى جنب الجامعة مدارس عالية لتعليم البنات ، منها :

معهد التربية للبنات ، ومعهد التربية للتدبير المنزلى ، ومعهد التربية للفنون الجميلة للبنات ، ومعهد التربية للموسيقى للبنات .

كما أن هناك مدارس أخرى تعد إلى حد ما فنية هى :

مدرسة الثقافة النسوية بسراى القبة ، ومدرسة الثقافة النسوية بشارع الخوياتى ، وكلتاهما بمصر . ومدرسة الفنون الطرزية .

فالفتاة المصرية تجد فى الوقت الحاضر الفرصة لأن تتعلم كما يتعلم الفتى فى جميع مراحل التعليم وأنواعه . وهى لا تحرم إلا من القليل من المدارس والكليات . مثل المدارس الصناعية ، وكليتى الزراعة والهندسة .

ومع أننا ما زلنا فى البداية التى نرجو أن نسير بها خطوات واسعة نحو تعليم الفتاة المصرية فإننا لا يسعنا إلا أن نبتهج عند ما نقارن بين ما اضطر إليه محمد على حين اشترى عشر جوار لكى يكن قابلات فى مدرسة الطب ، وبين التزاحم من الطالبات المصريات على الكليات والمدارس الآن . وكذلك نبتهج عند ما نعرف أنه إلى سنة ١٩٢٤ لم يكن لوزارة المعارف مدرسة ثانوية واحدة للبنات فى حين لها الآن عشرات من هذه المدارس تخرج منها الطالبات فتكن أمهات مستنيرات أو طالبات فى الجامعة يستزدن من المعارف العالية .

وجميع التكهنات السيئة التى كان ينتظرها المتشائمون من تعليم البنات لم يتحقق منها شىء بل العكس هو الذى حدث. فإن البنت المتعلمة قد ثبت أنها خير الأمهات والزوجات تحسن تربية الصغار وتؤسس البيت السعيد وتغرى الزوج بالبقاء فيه . فالبيت لم يعد فندقا أو مطعما للزوج وإنما هو ناد راق ومجتمع مهذب يجد الزوج فيه الزوجة المسامرة المستنيرة والزميلة المتعلمة الرشيدة التى يثق بها فى تربية أولاده ولا يخشى أن تتبدد ثروته بعد وفاته لقصورها . ولا يكاد شاب متعلم أن يتخيل أنه يستطيع أن يتزوج فتاة أمية فهو يسأل — أول ما يسأل — عن الدرجة التى بلغتها من الثقافة ويحرص بعد الزواج على أن يزودها بالوسائل التى تنبه ذهنها وترقيها .